حكايات كليلة ودمنة

6

الجمل المخدوع

تقلم : عبد الحميد عبد المقصود
تريشة : عبد الشافى سيد
اشراف : حمدى مصطفى

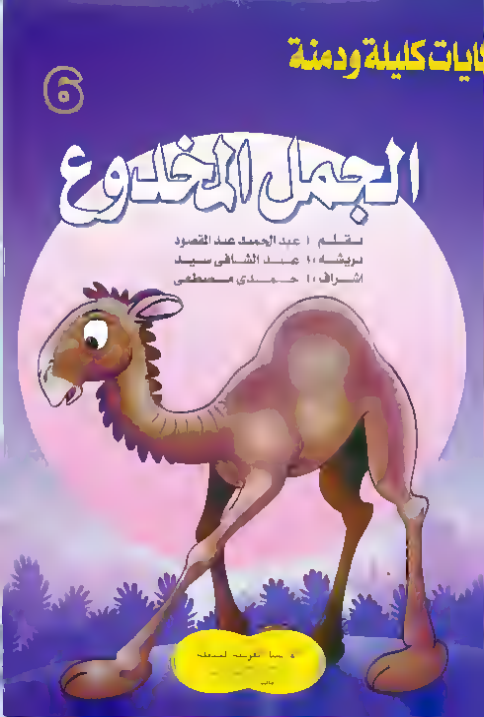

كان الأسدُ يعيشُ حياةً ناعِمَةً هانِئَةً ، في وَاحَةٍ ظَليلَةٍ ، مُلْتَفَّةٍ الشَّجَرِ ، عَضَّةَ العُشْبِ ، كثيرةِ الْخُضْرَةِ

وكان للأسدِ أصدقاءُ ثلاثةٌ لا يُفارقونَهُ أبدًا ، هُمَ ذِئْبٌ وغُرَابٌ وانْسٌ أوَى

وكان الأصدقاءُ الثَّلاثةُ يحْتَرِمون الأسد بكلِّ ما أُوتُوا منْ قُوَّةٍ وفي مُقابلِ ذلك كان الأسدُ يسمحُ لهُمْ انْ يأكُلُوا ما تبقَّى على مائدته منْ صيْدِهِ ، بعْد انْ يأكُلَ هو حتَّى يشْبَع وهكذا عاش الأربعةُ في تآلُفٍ ووئامٍ

وذات يوم مرّ أحدُ الرُعاة بتلك الواحة ، وكان معهُ جمالٌ كثيرةٌ .. وأعجب أحدُ الجمال بكثرة العُشب والخُضْرة في هذا المكان ، فتخلّف عنْ بقيّة الجمال ، ولمْ يفطنْ إليْه الرّاعي

أكل الجملُ من العُشْبِ الغضّ النّديد ، حتّى شبع ، ثُمّ سار إلى الشّجر ليستطلُ به ، فرآى الأسد وأصدقاءهُ ، لكنّهُ لمْ يفزعْ ولمْ يهْرُبْ خوْفًا من الأسد .

وتعجّب الأسدُ منْ شجاعة الجمل ، فسألهُ قائلاً :

ـ منْ أيْن أتيْت أيُّها الجملُ ؟!

فقال الجملُ :

ـ كُنْتُ مع الرّاعى وتحلّفتُ عنهُ ؛ حتى ارْعى فى هذا المرْعى الخصب

فقال الأسدُ :

ـ وما حاجتُك

فقال الجمل فى ادب

ـ ما يأمُرُ به الملكُ

واعْجب الأسد باجابته وادبه ، فقال له :

ـ إنّ نُقيمُ عِنْدنا فى الخصْب والسّعة وأنْت آمنٌ على حياتك منْ أىّ سوء وشرّ

فقال الجملُ :

ـ هذا كرمٌ من الملك

وتفصّلُ لمْ أكُنْ أحْلُمْ بهِ ..

وهكذا عاش الجملُ فى صُحْبَة الأسَد ، وصار منْ جُمْلَة أصْدقائه
ومضى على ذلك وقْتٌ طويلٌ ، والجملُ ينْعمُ بالأمْن والْعُشْب الْغضّ الْكثير .
وذاتَ يوْم خرج الأسدُ للصّيْد كعادته ، فقابلهُ فيلٌ صخْمٌ شرّسٌ ،
فعرض الأسدُ عليه الصّيْد الثّمين .
وحاول الأسَدُ اصْطياد الْفيل ، وهو يظُنُّهُ صيدًا سَهْلاً ... لكنّ
الْفيل تصدّى لهُ وراح يكيلُ لهُ الضّرْبَاتِ والطّعنات بنابه الْحادّ
الْقويّ ، حتى أثْخنهُ بالجراح فى أكْثر منْ موْضع بجسده
وانْقضّ الأسدُ منْ ذلك الْفيل الْقويّ الشّرس بصُعُوبة ، ولوْلا أنّهُ تحامل
على نفْسه ولاذ بالْفرار لقتلهُ الْفيلُ

وعادَ الأسدُ إلى عَرينِهِ مُثخنًا بالجِراحِ ، وهو يئِنُّ مِنَ الألَمِ وتجُرُّ أذيالَ الهزيمةِ

وبمُجرَّدِ أنْ دخلَ عَرينَهُ سقطَ على الأرضِ ، شاعرًا بالتَّعبِ والإعياءِ

وبقِيَ على تلكَ الحالِ أيامًا طويلةً ، فلا يقدرُ على الخُروجِ للصَّيدِ ، حتَّى كادَ يهلِكُ مِنَ الجُوعِ

وكادَ الذِّئبُ والغُرابُ والثَّعلبُ أنْ يهلِكُوا مِنَ الجُوعِ ، لأنَّهُمْ كانوا يعتمدونَ في طعامِهِمْ على الفضلاتِ المُتبقيةِ مِنْ صيدِ الأسدِ

فلما رأهمُ الأسدُ على تلكَ الحالِ اشفقَ عليهِمْ قائلاً :

- لقدْ هُزِلْتُمْ وضعفَتْ أجسامُكُمْ واحتجتُمْ إلى ما تأكلونهُ .

فقالَ الثعلبُ في دهاءٍ :

- لا تهتمَّ أنفُسُنا ، ولكنْ تهتمُّ صحةُ الملكِ وحياتُهُ .

وقالَ الذِّئبُ فى دهاءٍ :
ـ لبِّثنا نجِدُ ما يأكُلُهُ المَلِكُ ، حتّى يتَقوّى به ويستَردُ صِحَّتَهُ وعافِيَتَهُ .

وقالَ الغُرابُ :
ـ نهُونُ حَياتَنا وأرواحَنا فى سبيلِ حَياتِكَ أيُّها المَلِكُ ، الذى نَحْيا بحياتِه

فأعْجَبَ الأسدُ بكلامِهِمْ ، وتأثّرَ منْ حُسنِ إجاباتِهِمْ ، وقال :
ـ لستُ أشُكُّ فى حُبِّكُمْ وإخْلاصِكُمْ لى . انْطلِقوا الآنَ لعلَّكُمْ تُوفَّقُونَ فى العُثورِ على صَيْدٍ، فتُحْضِرونَهُ ، حتّى آكُلَ مِنْهُ وتأكُلُونَ معى ،

فتتقوّى به أجْسامُنا

فقالَ ابنُ آوى :
ـ سمْعًا وطاعةً أيُّها المَلِكُ .

وانطلق الثَّلاثةُ ، كَمَا أمرهُمُ الأسدُ حتى ابتَعدوا عنْهُ قَليلاً ، واخذوا يتشاورون فيما بينهُمْ ، فقال الذِّئبُ :

- ما لنا نحنُ والصَّيْد ؟ لقدْ نسينا هذا الأمْر منْذُ عشْنا في صُحْبة الأسد ، واصْبحْنا نعْتمدُ في طعامنا على صيْده .

وقالَ الغُرابُ :

- لقدْ أمرنا الأسدُ بالصَّيْد ، فمادا نقُولُ لهُ ، إذا رجعْنا بدون صيْد ؟ سيقُولُ إنَّنا عجزْنا عنْ إطْعامه وهو مريضٌ لا يقْدرُ على الْخُروج للصَّيْد

وقال ابنُ آوى :

- لا بُدَّ منْ حيلة نحْتالُ بها ، حتَّى نظلَّ في نظَرِ الأصْدقاءِ المُخْلصين في الضَّراء ، كما كنَّا في السَّرَّاء .

وبطر الذِّئبُ فرأى الْحمل يرْعى قريبًا منْهُ في الْعُشْبِ ، فواتتْهُ فكْرةٌ وقال :

- ما لنا نحنُ وأكل العُشْب هذا ، الذي ليْس شأنُهُ منْ شأننا ، ولا رأيُهُ منْ رأينا

فطن إليه صاحباه متعجبين وقال الغُراب
ـ ماذا نقصد ؟ وضح لنا ما تفكر فيه
فقال الدئب
ـ لماذا لا نعود إلى صديقنا الأسد ، ونحضره أيضا قد قتلنا فى
الغدير على صيد ـ ثم نربن له أن يأكل الجمل ، فيأكله ويطعمنا
معه ؟
رافت الفكرة للغراب لكن أبى أوى اعترض قائلا
ـ هذا الأمر لا يستطيع فكرة للاسد
فقال الدئب مختجا
ـ لماذا ؟
وقال أبو أوى
ـ لأن الأسد قد أمن الجمل على حياته ،
ولا اعتقد أنه يمكن أن يوافقنا على الغدر
به مهما حدث
فقال الغُراب
ـ لدى فكرة ستجعل الأسد يوافق دون تردد
هيا بنا إلى الأسد ، وسأشرح لكم فكرتى فى الطريق ..

وانْطَلَقَ الثَّلاثَةُ عائدين إلى الأسد ، فلمَّا رَآهُمْ قال :

ـ هلْ وُفِّقْتُمْ فى العُثور على صَيْدٍ لطعامِنا ؟

فقال الغُرابُ :

ـ إنَّما يُوفَّقُ إلى ذلك مَنْ يسْعى ويصْبِرُ ، ونحنُ الثَّلاثة لا سَعْىَ لنا ولا صبْرَ على ذلك

فقال الأسدُ :

ـ لماذا ؟

قال الغرابُ :

ـ كيف نستطيعُ ذلك مع ما نشْعُرُ به منْ جُوعٍ وضعْفٍ شديدَيْنِ ؟

وبرَغْمِ ذلك فلمْ نعدْ خائفين أيُّها المَلِكُ ، وإنما احتمعْنا وتشاوَرْنا فى الأمْرِ ، حتى وَفَّقَنا إلى رأىٍ سديدٍ ، فإذا وافقنا المَلِكُ عليْه بدأْنا فى التَّنْفيذ

فقال الأسدُ :

ـ وما هو هذا الأمرُ ، الذى اجْتمعْتُمْ عليْه ؟!

فقال الغُرابُ :

ـ هذا الْجملُ اكلُ الْعُشْبِ ، الذى اقْدَسُ بَيْدَنا ، منْ غيْرِ انْ تنالَنا منْفعةٌ مِنْهُ ، لمادا لا نأكُلُهُ ونستريحُ مِنْهُ ؟!

فغضب الأسدُ غضبًا شديدًا وقال :

ـ ما أَخْطأ رأيَك وأشد حُمْقك ، وما ابْعدك عَنِ الوَفاء والرُحْمة كيفَ تَجْرُؤُ على الْحديث فى هذا الأمْرِ ، وقدْ انْ علِمْت انّى قد امَّنْتُ الْجملَ على حياته ونفْسه ؟!

الَمْ تعْلمْ انّهُ ما تصدقَ متُصدقٌ بصدقةٍ هِي أعْظَمُ أجْرًا ، وأكْثرُ ثوابًا ممَّنْ أمَّنَ نفْسًا خائفةً ، وحقَنَ دمًا مُهْدرًا ؟!

فقال الغُرابُ فى ذكاءٍ، حتّى يستميل قلْبَ الأسَدِ إلى رأيِهِ

ـ إنّى أعْلَمُ انّك قد أشْفَقْتَ على حياته ، وأعْلَمُ أيْضًا انّك لا يمْكِنُ أنْ تغْدِرَ به ، حتى ولوْ مُتّ جُوعًا ، لكنّ هناك أمْرًا أُحِبُّ أنْ تعْلَمَهُ أيُّها المَلِكُ

فقال الأسَدُ

ـ وما هو هذا الأمْرُ ؟

ـ إنّ النَّفْسَ الْواحِدةَ يُفْتدى بها أهْلُ الدّار ، وأهْلُ الدّار يُفْتدى بهمُ القَبيلةُ ، والقبيلةُ يُفتدى بها أهْلُ البلد ، وأهْلُ البلد كُلُّهُمْ فداءٌ لِلْمَلِكِ

فقال الأسدُ مُعْجبًا

ـ أحْسنْتَ أيُّها الغُرابُ

واستمرّ الغرابُ قائلاً :

ـ ولقد نزلتْ بالملكِ حاجةٌ ، ولا نجاةَ لهُ منَ الهلاكِ جوعًا إلا أنْ يفتديهُ الجملُ بحياتهِ .

فقال الأسدُ :

ـ كيفَ يكونُ ذلك ، وقدْ أمنتُهُ ؟

فقال الغُرابُ :

ـ أنا اجعلُ لكَ مخرجًا منْ عهدكَ ، دونَ أنْ تأمرَ بشيءٍ ، أوْ تُعرّضَ نفسكَ للجرحِ ، لديهِ حيلةٌ نحتالُ بها ، حتى يُقدّمَ الجملُ نفسهُ طواعيةً لكَ .

فأبدى الأسدُ إعجابهُ بذكاءِ الغُرابِ ، وبدأ الغُرابُ يعرضُ حيلتهُ مُخاطبًا الذئبَ وامنَ أوى قائلاً :

- لقدْ وافق الملكُ على حيلتي ، ولمْ يبْقَ إلا أنْ نحْصر الحَمْلَ ونجْتمع عِنْد الأسد ، فنذكُر ما اصابهُ ، ونبْدى إشْفاقنا عليْه ، وحِرْصنا على حَياتِه

فقال امنْ أوى

- هذا أمْرٌ هيّنٌ

وأضاف الغُرابُ قائلاً .

- ثمّ يعْرض كُلُّ واحدٍ مِنّا نفْسهُ عليْهِ ليأكُلهُ ، فيرُدُّ الاحْزان ويُنْسيْنا الضّرر الذى يلْحقُ بالأسد منْ جرّاء اكْلِه ، وبذلك ندْفعُ الجمَلَ إلى أنْ يعْرض نفْسهُ كما فعلْنا

فلمّا احْضروا الحمل ، تحدّثَ الغُرابُ فقال

ـ لقدْ هزلَ جسمُكَ ، وضعُفَ بدنُكَ ، واحتجتَ إلى ما يُقوّيكَ ، ونحنُ أحقُّ أنْ نهبَ أنفُسَنا لكَ ، لأنّا لكَ نعيشُ وإذا هلكْتَ فليسَ لأحدٍ منّا بقاءٌ بعدَكَ ، فلْتأكُلْني فقدْ طبْتُ نفْسًا بذلكَ .

فقالَ الدّئبُ وابنُ آوى

ـ اسكُتْ فلا خيْرَ للملكِ في أكْلِكَ وليْسَ فيكَ ما يُشْبِعُ ...

فقالَ ابنُ آوى :

ـ أنا أُشْبِعُ المَلِكَ ؛ فليأكُلْني ، وأنا راضٍ بذلكَ

فردَّ عليهِ الغُرابُ والدّئبُ

ـ كيْفَ يأكُلُكَ وأنْتَ مِنْ قدرِ ؟! إنّكَ تُريدُ أنْ تُريدهُ مرضًا ..

وقال الدّئبُ
ـ إنّني لستُ كذلك فليأكُلني المَلِكُ ، وأنا راضٍ .
فردَّ عليْه الغُرابُ وابنُ أوى :
ـ لقدْ قالتِ الأطِبّاءُ مَنْ أراد قتْلَ نفْسه فليأكُلْ لحْم الدّئب .
فلما سمع الْ لِمْ منْهُمْ هذا الكلام ، ظنّ أنّهُ إذا عرض مقْسمةُ القسوسُ لهُ غدْرًا ، كما القسس يعْصُمُهُمْ لمعْصم الأغدار فيبْجُو ؛ ولذلك قالَ :
ـ لكنّ أنا لحْمي طيّبٌ ، وبطْني نظيفٌ ، فليأكُلني المَلِكُ ويُطْعِمَ أصْحابهُ ، فقدْ رضيتُ بذلك .
فقال الغُرابُ والدّئبُ وابنُ أوى
ـ لقدْ صدق الْجملُ
وانهالوا عليْه أكْلاً

(تمّتْ)

الفيصل الثقافي ٧ (٦٤ ـ ٦٦) ١٤٢٨ـ٢٠٠٧
رقم الإيداع ٢٧٨